العددِ 20 شباط 2026
المجلة العراقية للبحوث الانسانية والاجتماعية والعلمية
No.20 Feb.2026 Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN2790-1254

الرمز المركب في شعر يوسف الخال
شخصية السيد المسيح اختيارًا

م.د. فرح أدور حنا
جامعة الحمدانية/كلية التربية للعلوم الإنسانية

الملخص باللغة العربية

يتوخى البحث دراسة تقانة الرمز المركب في شعر يوسف الخال بوصفها سمة فنية من سمات الحداثة الشعرية التي اعتمد عليها الخال في انتاج متنه الشعري، وقد اختار البحث شخصية السيد المسيح بوصفها عينة إجرائية، حرص الشاعر على ترميزها بطريقة مغايرة ومتميزة عن صياغات الرموز التقليدية وأنواعها الشائعة، وذلك نظرًا لخصوصية هذه الشخصية الدينية المقدسة والإنسانية وما حملته في سياقها المرجعي من دلالات متنوعة عديدة. لقد ارتكز البحث على خطة تبنّت مقاربة الموضوع عبر مهاد نظري تشكل من ثلاثة محاور: الأول التصور العام للرمز، الثاني مفهوم الرمز المركب، الثالث الخال ورمزية السيد المسيح أمّا متن الدراسة فقد عالج رمزية الشخصية المرجوع إليها عبر مسارين متمفصلين وفق مبدأ التقابل والإزدواج، جاء المسار الأول بعنوان شخصية السيد المسيح بوصفها رمزًا، أما الثاني فكان بتوصيف شخصية السيد المسيح بوصفها مرموزًا إليها. أما منهجية البحث فقد تمثلت في آلية تحليلية اشتغلت في ضوء ملاحقة مكونات وأجزاء الرمز المركب الواحد ضمن مجموعة نصوص شعرية متنوعة، ومن ثَمّ محاولة تركيبها وتجميعها في نسق دلالي موحد للوصول إلى الدالة الرمزية المحورية لكل رمز منها.

الكلمات المفتاحية/ (الرمز المركب- المرموز إليه- الترميز- الشخصية المرجعية- الدلالة).

The Composite Symbol in the Poetry of Yusuf al-Khal:
The Figure of Jesus Christ as a Selected Model

Ass. Doctor. Farah Adwar Hana
University of Al-Hamdaniya / College of Education for Humanities

Abstract

This study seeks to examine the technique of the **composite symbol** in the poetry of **Yusuf al-Khal**, considering it an artistic feature of poetic modernism upon which al-Khal relied in producing his poetic corpus. The study selects the figure of **Jesus Christ** as an applied sample, as the poet was keen to symbolize this character in a distinctive and unconventional manner, different from traditional symbolic formulations and their common types. This choice stems from the particular religious and human significance of this figure and the numerous and varied connotations it carries within its referential context.

The research is based on a structured plan that approaches the topic through a theoretical framework consisting of two axes: the first addresses the concept of the composite symbol, while the second focuses on the poetic specificity of Yusuf al-Khal. The body of the study analyzes the symbolism of the referenced character from two perspectives, articulated across two interconnected levels according to the principle of contrast and duality. The first perspective is entitled *the character as a symbol*, while the second describes *the character as the symbolized referent*.

Methodologically, the study adopts an analytical approach that traces the components and elements of a single composite symbol across a range of diverse poetic texts, and then attempts to reconstruct and assemble them into a unified semantic system in order to arrive at the central symbolic signification of each symbol.

Keywords: (Composite symbol – Symbolized referent – Symbolization – Referential character – Signification)

1. التصور العام للرمز:

يعد الرمز من أهم التقانات الفنية التي اسس استعمالها، سمة مميزة لشعراء الحداثة في المشهد الشعري العربي، إذ يوصف الرمز كونه وسيلة مهمة في صياغة وشحن اللغة الشعرية بطاقة إيحائية تعلي من امكانيات اللغة الانزياحية المستثمرة في الشعر، وذلك بما يمنحه للنص الشعري من امتيازات التعبير الفني والجمالي القائم على التكثيف والإيحاء والغموض وتراسل الحواس والتشفير والإيصال، الأمر الذي يدفع بالقصيدة صوب مستويات مغايرة الدلالة، فاستخدام الرموز يفتح شهية القارئ أمام التأويل لأنتاج المعنى والنظر وراء القصديات المباشرة للنص، فالرمز-كما يصفه إليوت- يقع في المسافة بين المؤلف والقارئ، لكن صلته بأحدهما تختلف عن صلته بالآخر، فهو بالنسبة للشاعر يشكل مساحة للتعبير والتأليف، لكنه بالنسبة للمتلقي يعدّ مصدرًا للإيحاء والتأويل[1].

يثير مصطلح الرمز عمومًا جدلاً معرفيًّا وعلميًّا كبيرين، إلى درجة يمكن القول معها: إن محاولة رسم حدود واضحة له تعد مجازفة فكرية ومنهجية في الوقت نفسه، ذلك أن مصطلح الرمز يتداخل في مجالات معرفية عدة، حيث أن كل مجالٍ يطرح مفهومه الخاص عن ماهيته الذي يتأسس وفق رؤية ذلك المجال وأفق تصوره، لذلك" فالانتربولوجيون أو اللسانيون أو الباحثون في علم العلامات أو علم النفس أو علم الأديان أو علم التاريخ أو الفلسفة أو الطب... لا يعرّفون الرمز إلاّ من خلال مجال اهتمامهم، لأن الرمز لا يحمل ماهيته في ذاته، ولا يحدّد انطلاقًا من جوهر كينونته، بل هو على النقيض من ذلك وثيق الصلة بالمجال الذي يغطيه"[2]، كذلك فإن مصطلح الرمز يشتبك ويتداخل مع مصطلحات أخرى تشاركه أحيانًا في الوظيفة ولاسيما مصطلحات العلامة أو الاشارة أو الأيقونة، وبالرغم من كل هذه الإشكاليات في تحديد ماهية الرمز، إلا أنه يمكن تأسيس منطلق عام في وصفه، لاسيما ما يتعلق بالرمز الأدبي-مجال الاشتغال- إذ يرى فيه (وليم يرك تندال) كونه" تركيبًا لفظيًّا اساسه الايحاء عن طريق المشابهة بما لا يمكن تحديده، بحيث تتجاوز عناصره اللفظية كل حدود التقرير، موحدة بين أمشاج الشعور والفكر"[3]، كذلك نجد في تعريف(بيرس) للرمز مجالاً حيويًّا، إذ يصفه بأنه" علامة تحيل على الموضوع الذي تشير إليه بمقتضى قانون، وهذا القانون غالبًا ما يشكل مجموعة عامة من الأفكار تحدد تأويل الرمز بإسناده لهذا الموضوع"[4] وبذا يشكل الرمز وفق تصور(بيرس) علامة عرفية تحيل على موضوعها وفقًا لقانون عرفي يتأسس من مبدأ احتكام مجموعة اجتماعية إلى عدد من الأعراف والعادات والممارسات بحيث تتحول إلى(قانون) في عرف تلك المجموعة، ومن ثم يجعل التجربة الفردية عاجزة عن انتاج الرمز، لأنه نشاط وتجربة جماعية عامة ومجردة[5].

لقد اختار البحث مستوى رمزيًّا معيّنًا لأجل تطبيقه على عينة شعرية منتخبة، إذ ارتأى أن يبحث في نوع محدد ضمن منظومة وأنواع الرموز المستعملة، وهو الرمز المركب الذي يوفر امكانية الإدراك

---

(1) ينظر: الرمز الأسطوري في الشعر الجزائري المعاصر، أحمد قيطون، مجلة مركز البصيرة، ع4، الجزائر، 2009 : 111.

(2) الرمز في الرواية العربية المعاصرة، المنجي بن عمر، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية، ط1، المانيا-برلين، 2021: 12 .

(3) الغموض في الشعر العربي، ابراهيم رماني، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، د.ط. الجزائر، 2008: 338 .

(4) نقلاً عن: الرمز في الرواية العربية المعاصرة : 38 .

(5) ينظر: المصدر نفسه : 39 .

الإنساني وفق احتمالية متنوعة ورؤى مختلفة للرمز الواحد، لذا فإن تقصي وملاحقة مفهوم الرمز المركب ومحاولة وصفه في تأطير نظري يمكن تبنّيه والاعتماد عليه في التحليل، يتطلب منا اجراء مقاربة دائرية ومسح شامل لهذا المصطلح كي يتسنى لنا تحديد ماهيته وطبيعة المعطى العام له.

2. مفهوم الرمز المركب:

لا يختلف الرمز المركب عن أقرانه من مستويات أو أنواع الرموز الأدبية الأخرى في الوظيفة والعمل، لكنه يمتاز بخصوصية تكوينه وتشكيله، إذ ثمة منظورات عديدة ظهرت في هذا الجانب، فقد تباينت آراء النقاد في تبرير سمة(التركيب) في هذا النوع من الرموز، فهناك مَنْ يربط سمة التركيب بصفة التكثيف الرمزي، إذ يرى أنه" قائم على تجميع عدد من الرموز التي تتكاثف فيها الدلالة الرمزية، إذ ينتقي الشاعر رموزًا معينة تلتحم مع بعضها فتتداخل وتتحد من خلال خيط تاريخي أو فن رفيع، وتأخذ معاني متعددة تُكشف بسبب ذلك التركيب والتوليف كأصوات لها دلالات وأبعاد مميزة "[6]، بهذا التصور يكون الرمز المركب معادلاً مفهوميًّا لمصطلح(الترميز) الذي يشير إلى الإكثار من استعمال الرمز والتوسع فيه وذلك قياسًا على دلالة وزن(تفعيل) التي تحمل معنى الإكثار والزيادة في الفعل[7]، وهناك مَنْ يربط تركيبية الرمز بانفتاحه على أبعاد أو أنواع رمزية معينة تكسبه نوعًا من السمو والرفعة وتحديدًا الرمز الذي يجمع بين البعد الديني والتاريخي، وهذا ما ذهب إليه(رجاء عيد)، إذ أن الرمز التركيبي لديه" يكون باستلهام الآية القرآنية الكريمة، أو فقرة أو جملة من الكتاب المقدس أو باستلهام الحدث التاريخي، حيث أن الشاعر يوظف الرموز الدينية، ليبين عن حركات وتموجات النفس، ويعيد المتلقي سامعًا أو قارئًا، إلى أغوار الماضي، ثم يسافر إلى آفاق المستقبل من خلال ذلك التوظيف الذي يكتنز دلالات متشعبة تجعل القصيدة مكتملة ثرية وخصبة"[8]، كذلك نجد ضمن التصورات الأخرى عن طبيعة الرمز المركب، أنه يكون موازيًا في مفهومه لمفهوم الرمز الكلي العام، إذ يتجلى" البناء الرمزي المركب حين تنتظم أحداث القصيدة كلها حتى تكون كأنها حدث واحد مسترسل دون انقطاع، أو كأنها رمز واحد ممتد في عدد من الرموز الأخرى ويسري في ثناياها ويوحدها حول محوره الأصيل الذي هو رمزها الكلي"[9]، إن تركيبية الرمز وفق هذا الرأي الأخير، تتأتى من خلال الجمع بين صفتين مهمتين للرمز عمومًا، الأولى صفة العمومية، التي يتجاوز الشاعر بها حدود العمل الواحد لتمتد إلى باقي أعماله، بل تتجاوز حدود الشاعر الواحد لتنفتح على عموم الشعر[10]، أما الصفة الثانية فهي الكلية التي هي عبارة عن تجميع للأفكار الجزئية المتناثرة ومحاولة ربطها في خيط دلالي واحد واخراجها في بنية رمزية موحدة ضمن الصورة الأدبية الكاملة، فالرمز الكلي هو "معنى محوري شفاف مُجسّد في إحدى الظواهر المادية، يتمركز على أرضه جلّ الصور الجزئية التي تتوزع العمل الشعري، وتشده نحو هدف جمالي منظور، يربطها به ينبوع التجربة الشعورية"[11] وثمة رأي آخر يرى أن الرمز المركب هو معنى يقوم القارئ باستشفافه وانتاجه وراء المعنى الظاهري للمفردات في سياقها العام، إذ يؤول المعنى في الرمز المركب من خلال مجموعة الصور والاشارات التي يقدمها الشاعر، بحيث تعمل بوصفها موجهات قرائية تدفع القارئ صوب مستويات جديدة للمعنى بعيدة عن المعنى الأصلي المباشر[12] .

---

(6) الرمز في الشعر العربي، ناصر لوحيشي، عالم الكتب الحديث، ط1، اربد(الأردن)، 2011: 151.

(7) موسوعة المصطلح النقدي-الترميز-، ماكوين جون، تر: عبدالواحد لؤلؤة، دار المأمون للترجمة والنشر، ط1، بغداد، 1990: 87 .

(8) الرمز في الشعر العربي: 150-151.

(9) الرمز والدلالة في شعر المغرب العربي المعاصر(فترة الاستقلال)، عثمان حشلاف ، منشورات التبيين الجاحظية، الجزائر، 2000: 125.

(10) ينظر: تطور أنماط الشعر العربي، علي فتح الله أحمد محمد، مجلة الدراسات العربية، ع14، جامعة المنيا-مصر: 2889.

(11) التصوير الشعري-رؤية نقدية لبلاغتنا العربية-، عدنان حسين قاسم، الدار العربية للنشر والتوزيع، د.ط ، القاهرة، 2000: 192 .

(12) الرموز الجاهلية في القصيدة المعاصرة(نماذج مختارة)، آمال بديرينة، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خضير بسكرة، الجزائر، 2017: 10-11.

في ضوء ما تقدم ذكره يمكن ملاحظة إن معايير ومواصفات الرمز المركب هذه، نراها حاضرة في العينة الرمزية المنتخبة في هذا البحث وهي شخصية السيد المسيح (له المجد)، فهذه الشخصية تنتمي بوضوح تام إلى الرمز العام الكلي الذي ينصهر فيه الديني مع التاريخي، كما أنها شخصية تحمل ترميزًا كبيرًا ومكثّفًا لعدد من المدلولات المنقولة ثقافيًّا عبر نسق سيري تاريخي، لذا يمكن توصيف رمزية السيد المسيح على أنها رمزية مركبة تجمع بداخلها مقاييس ومعايير الرمز المركب التي أشرنا إليها، يضاف إلى ذلك ميزة أخرى تعلي من تركيبية هذا الرمز وتعطيه زخمًا دلاليًّا مضاعفًا يمكن تسميته بالاستعمال الرمزي المزدوج، إذ لجأ الشاعر يوسف الخال إلى التعامل مع شخصية السيد المسيح وكأنها عملة ذات وجهين، فقد جعل منها رمزًا لمدلولات متنوعة تنسجم مع مرجعية هذه الشخصية، وفي الوقت نفسه عمل على ترميز إشارات وصور معينة ترمز إلى السيد المسيح، لذا جاء استعماله الرمزي هنا مزدوجًا بين الرمز والمرموز إليه.

3. الخال ورمزية السيد المسيح :

تعد شخصية السيد المسيح من أكثر الشخصيات الدينية المقدسة التي تم استدعاؤها وتوظيفها داخل النص الشعري العربي الحديث، فقد لجأ اليها الشعراء؛ لكثافة ترميزها ولانفتاحها على دلالات انسانية عديدة، ولتمثيلها قيماً ومعاني عليا تجسدت في مدلولات التضحية والفداء والمحبة والخلاص والمغفرة والتسامح وبذل النفس وغيرها من القيم الانسانية النبيلة . لقد استخدم الشعراء شخصية السيد المسيح ضمن تصور رمزي عام وَسمَ القصيدة العربية الحديثة في خمسينيات القرن الماضي، وهو عبارة عن سمة بارزة اعتمدها شعراء الحداثة كالسياب والبياتي ويوسف الخال وانسي الحاج ومحمود درويش وسميح قاسم ومعين بسيسو، في توظيف الرمز خارج المألوف والموروث القديم، وهو ما اطلق عليه رمزية (الموت – الانبعاث) فقد تم توظيف رموز اسطورية ودينية كثيرة في هذه الثنائية الضدية مثل تموز وادونيس وعشتار وسيزيف والعنقاء وكذلك شخصية السيد المسيح.[13]

لقد كان الدافع وراء استعمال الشاعر المعاصر للرمز المسيحي، هو مقاربة الوضع الذي كان يمر به العالم العربي، كما ان استخدام الرموز الدينية في الشعر، لا يعني أن الشاعر ينطلق من تجربة دينية شخصية أو أن القصيدة تحولت الى خطابات دينية، وانما اتكأت على ذلك لتقوم القصيدة على تفاعل هذه العناصر مع رؤيا الشاعر وواقعه .[14]

لقد ترك استخدام يوسف الخال للرموز الدينية المسيحية في نصوصه الشعرية، أثراً واضحاً في الشعر العربي في تلك الفترة، فالخال – كما تحدث عنه ادونيس – هو مَنْ " مَهدَّ لرؤيا شعرية طرفاها الايمان المسيحي في نزوعه نحو خلاص الانسان، والطبيعة المتأرجحة بين الخطيئة والنعمة من جهة، وتجديد في الكتابة الشعرية من جهة اخرى، فهو يدخل مملكة المسيح، الشخص الاله، المسيح الحرية، الحضور الابدي الخلاق، المسيح الشخص، البداية والنهاية "[15]، ليصل بعد هذا كله الى محاولة بناء نموذج شعري خاص به، يتمثل في صورة " الشاعر الإله، التي يمكن عدها عمدة المشروع الشعري وسنده؛ لأنها صورة مكثفة تختزن ارهاصاً تنظيرياً؛ وحساسية جمالية مغايرة، انها تأمل شعري صريح وضمني في مسيرة الشعر العربي ومساره الحلزوني، بغية تأسيس تصور جديد، يهدم مفهوم الشعر السائد، ووظيفة الشاعر الخطابية المنبرية، وما يتفرع عن كل ذلك من نسيج ووشائج مغايرة بين: الشعري والحياتي "[16].

لقد سعى الخال من خلال توظيفه لشخصية السيد المسيح ، الى محاولة اعادة التوزان لنفسه التي طالما بحثت عن المفقود والمطلق والمعنى الحقيقي للوجود، وذلك بعد أن عانت من الاحساس العالي

---

[13] ينظر: من الاسلامي الى المسيحي- اضاءة على الدلالة الدينية وتحولاتها في الشعر الفلسطيني الحديث، سرجون كرم ، مجلة (حوليات)/ منشورات جامعة البلمند ، ع17،، بيروت، 2016 : 3 .

[14] ينظر: الشعر والدين - فاعلية الرمز الديني المقدس في الشعر العربي، كامل فرحان صالح، دار الحداثة للطباعة والنشر، بيروت، 2004 : 323 .

[15] قصائد مختارة ليوسف الخال، ادونيس(علي أحمد سعيد)، دار مجلة شعر، بيروت، 1965 : 7-8 .

[16] الأنساق الدلالية والايقاعية في ديوان (البئر المهجورة) للشاعر يوسف الخال، عبد القادر الخزالي، مجلة (نزوى)، ع11، الاردن،1997 : 87 .

بالفقدان والاغتراب، " إن هذا الاحساس بموت الاشياء وفقدانها ذاتيتها، حفزّ الخال للوقوف ضد هذا الموات، ومحاولة البحث لكوامن القوى في الروح الفردية والجماعية، عن طريق التوحد بالمطلق / الحل الامثل لأشياء الوجود، ألا وهو (الله) الغاية النهائية للموجودات "[17]، فإحساس الشاعر بالفجيعة والخراب وثم الاحساس بالعزلة والانفصال، جاء نتيجة لفقدان العناصر الروحية في الحياة الواقعة او طغيان الماديات على المفهوم الحياتي، لذا كان لابد من البحث عن طريق للنجاة والخلاص الذي وجده الشاعر حاضراً في شخص السيد المسيح (له المجد)، وتحديداً عبر الفداء، والتضحية لتحقيق حالة التجدد بوصفه علامة عن الحياة واستمرارها، والايمان وفق هذا الذي سيقود الى المغفرة التي تعني المصالحة مع الله سبحانه وتعالى والعودة اليه والتوحد معه؛ لذا جعل الخال من شعره وسيلة لتفصيل هذه العودة او التشبه بالمسيح لغلبة الموت والانتصار عليه[18].

وبناءً على ما ذُكِر سابقاً، وتحديداً طبيعة العلاقة التي جمعت بين الخال وايمانه بالسيد المسيح، كونه منقذاً شخصياً له، فإننا نجد حضوراً متميزاً لشخصية السيد المسيح في نصوصه الشعرية، فقد عدَّ الخال نفسه في اكثر من نص، مسيحاً أي أنه تقمص شخصية المسيح وساقها فنياً، لأن هذه التجربة الشعرية، قد نشأت في ثنايا عقيدته المسيحية التي آمن بها، لذا نجد الشاعر منجذباً الى الكتاب المقدس ولاسيما العهد الجديد منه، وبذلك أصبح (المسيح) لديه رمزاً انبعاثياً ووسيطاً لتحقيق ثنائية الموت والانبعاث.

إن التفاعل الكبير الذي أحدثه الشاعر مع شخصية السيد المسيح، وقفت وراءه فكرة مركزية أدركها الشاعر في أغلب نصوصه، وهي فكرة (الانبعاث)، إذ تناولها بحرية مطلقة مقدماً دلالتها ومعانيها، وفق رؤية خاصة رآها الشاعر، ولعل احداث وتفاصيل الصلب والفداء والتضحية والحياة عبر الموت، هي من أهم القيم التي اسقط عليها الشاعر مدلولات هذا الانبعاث[19].

لم يكن لجوء الخال الى شخصية السيد المسيح وتوظيفها من حيث كونه ايماناً عقائديا بهاً فحسب، بل من حيث انها تمتلك طاقة ترميزية هائلة تجمعت عبر تراكم ثقافي طويل، جعلها مؤهلة لأنْ تكون واحدة من أهم الشخصيات الدينية المقدسة الرمزية التي اعتمد عليها الشاعر في صياغة رموزه . لقد تعامل يوسف الخال مع شخصية السيد المسيح بأسلوب رمزي مزدوج، إذ سعى الى ترميزها بطريقتين، الاولى تمثلت بجعل المسيح رمزاً لمدلولات وقيم عديدة متنوعة، امّا الثانية فقد جعلت السيد المسيح مرموزاً له بواسطة اشارات وصور وشخصيات معينة وجد فيها الشاعر خيطاً دلالياً رابطاً بين الموقف الشعري الآني، وبين الترجيع السيري لهذه الشخصية، ولأجله فقد اعتمد البحث مسارين متقابلين لدراسة رمزية هذه الشخصية المقدسة .

المسار الأول: السيد المسيح (له المجد) بوصفه رمزاً:

تعد شخصية السيد المسيح من الرموز الدينية العامة، فهي تمتلك رمزية دينية تاريخية، عريقة وممتدة عميقاً في وجدان الانسانية، فالسيد المسيح يرمز بشكل عام وفقاً للمعطيات المرجعية، الى السلام والمحبة والفداء والخلاص وبذل النفس والتضحية، فليس من الغريب أن نجد يوسف الخال قد حقق نوعاً من التوافق والانسجام الرمزي مع هذه لمدلولات في قصائد عدة، ومن امثلة ذلك، قصيدة (عودة)التي يقول بها:

"وكان أن عاد لي حبيبي
يجود بالصفح عن ذنوبي
مجنحّ الهّف بالأماني
كموعد المرتجى القريب

---

[17] العالم الشعري لدى يوسف الخال، رياض الناصري، صحيفة المثقف . https://www.almothaqaf.com/readings-5/949376

[18] ينظر: المصدر نفسه .

[19] ينظر: أسطورة المسيح في انشودة (حب وجلجلة) لخليل حاوي، مصطفى بو بعير، مجلة البحوث والدراسات الانسانية، جامعة سكيكدة ، ع15، الجزائر، 2017 : 155-156 .

يذرُّ في نقشه شروقاً
فيّهزأ الكون بالغروب
نُهاه أحدوثة روت ما
دغدغة الوصل
للحبيب"[20]

تسجل هذه القصيدة أول حضور رمزي لشخصية السيد المسيح، فعلى الرغم من أن الشاعر لم يذكر او لم يصّرح باسم (المسيح) مباشراً داخل النص، إلا أن ثمّة اشارات نصية واضحة تدل على هذا الحضور الرمزي، فالشاعر استخدم وصف (حبيبي) وهو أحد الاوصاف التي يوصف بها السيد المسيح في الثقافة المسيحية المأخوذة اصلاً من تعبيرات الكتاب المقدس (العهد الجديد)، إذ نجد ما نصه في الانجيل: **"هذا هو ابني الحبيب الذي به رضيتُ"**[21]. كذلك يستعمل الشاعر إشارة نصية أخرى للإشارة الى الموصوف هنا وهي عبارة (يجود بالصفح عن ذنوبي)، فامتياز الصفح والغفران لا يملكه سوى السيد المسيح وفقاً للعقيدة المسيحية، والذي تحقق بواسطة العمل الخلاصي وفعل التضحية الذي قام به السيد المسيح على خشبة الصليب والذي بموجبه تتم تبرئة الذنوب وغفران الخطايا. كذلك يحمل النص اشارة مستقبلية الى الكيفية أو الهيئة التي سيأتي بها المسيح في نهاية الازمة، إذ يُشير النص المقدس الى مجيئه محمولاً على غيمة في الهواء، فقد ورد ما نصه في العهد الجديد: **"وفي ذلك الحين يرى الناس ابن الانسان آتياً في سحابة بكل عزةٍ وجلال"**[22] وهو ما عبر عنه الشاعر بقوله: (مجنح الهف بالأماني) فضلاً عن قوله: (كموعد المرتجى القريب) الذي يشير الى موعد المجيء الثاني للسيد المسيح والذي سيكون شاملاً شرقاً وغرباً، لذا يمكن القول: إن استدعاء الشخصية الدينية المقدسة، جاء بصيغتين: بالوصف (حبيبي) والفعل(الصفح) وبالزمن المستقبلي (الموعد المرتجى) وهما وصفان يحيلان على السيد المسيح .

يلاحظ على بناء هذا النص، إن الشاعر أدار القصيدة بواسطة تقانة زمنية تعتمد على توقع المعلوم سلفاً، أي ان الشاعر قد استفاد من الترجيع الديني للشخصية / الرمز (المسيح المخلص). مجرباً تداخلاً ومفارقة زمنية بين زمن التكلم الماضي في النص (وكان أن عاد لي حبيبي) وبين زمن الحدث المستقبلي الذي ينتظر وقوعه وهو المجيء الثاني للسيد المسيح. فقد استبق الشاعر هذا الحدث وجعله متحققاً في صيغة الماضي، وذلك اشارة الى حتميته والقناعة المطلقة به، بوصفه الطريق الوحيد للنجاة والخلاص، لذلك فإن السيد المسيح المستدعى هنا، جاء برمزية مناظرة لرمزيته التاريخية واللاهوتية، وهي رمزية الخلاص والمحبة والفداء والمغفرة والرجاء، اي رمزية معادلة في مدلولاتها لمعنى الانبعاث والولادة من جديد .

تشكل هذه الرمزية لشخصية السيد المسيح، محوراً اساسياً في شعر يوسف الخال، لذا نجد أن الشاعر يكررها ويؤكدها في اكثر من قصيدة وبذات الطريقة نفسها، إذ يقول في قصيدة (الفراق) ما يأتي:

"حبيبي متى
نلتقى؟
فإني صباحَ
مساءْ
أسير وكلّي
رجاءْ
الى المفرقِ

فيا عينُ لا
تدمعي

---

[20] ديوان الحرية، قصيدة عودة : 42.
[21] انجيل متى، اصحاح٣، آية ١٧.
[22] انجيل لوقا، اصحاح ٢١، آية ٢٧.

بعيداً، فعّما
قريب
يعود إليَّ
الحبيب
ويبقى
معي"[23]

يسعى الخال في هذا النص، الى استدعاء شخصية السيد المسيح بشكل غير مباشر أيضاً، وذلك عبر مجموعة أفعال مضارعة تحمل في مجموعها دلالة مستقبلية تُشير الى انتظار حدث العودة والمجيء الثاني للمسيح، والمرجو تحقيقه بواسطة الصوت الشعري، وهي (نلتقي - أسير - تدمعي - يعود - يبقى)،فالشاعر استخدم ضمير المتكلم في اشارة واضحة الى نفسه، كما استعمل ايضاً تلك الاشارات النصية ذاتها التي وظّفها في النص السابق وهي (حبيبي - الحبيب - رجاء - الموعد - اللقاء)، وبدورها أدت تلك الوظيفة الايحائية الى شخص السيد المسيح الذي يرجو الشاعر مجيئه وعودته في اقرب وقت لينال الخلاص والحياة به، كذلك نلاحظ أن الشاعر صاغ عنواناً مفارقاً لمدلول العنوان السابق (عودة / فراق)، لأن اللقاء والعودة لم يتحققا بعد، فالشاعر مازال في حالة من (الفراق) والانفصال / الموت، لكن الأمل والرجاء كبيران في أن يتحول الانفصال الآني الى اتصال مستقبلي، والموت الآني الى حياة في المستقبل عندما يحين موعد المجيء الثاني، فالشاعر في هذا النص، جعل من السيد المسيح رمزاً للأمل والرجاء والانتظار المفرح، ومن ثم فهو يرسم صورة رمزية اخرى لدالة الانبعاث والتجدد والنهوض من الرقاد .

يستمر الخال في تأكيد وتوثيق هذه الرمزية المحورية لشخصية السيد المسيح التي جاءت متوائمة مع التفاصيل والاحداث التي ارتبطت بالشخصية المرجعية في أصلها التاريخي، إذ نجد الصوت الشعري المعادل لشخصية الشاعر الذي يمثل دالة الحضور، يتوجه بخطابه الشعري صوب الشخصية المقدسة المستدعاة هنا بأسلوب أكثر افصاحاً وكشفاً للشخصية الغائبة عبر آلية مشهدية مستوحاة من وقائع مرجعية دينية، وذلك في نص شعري آخر يحمل عنواناً مكرراً للنص الاول، وهو قصيدة (العودة) التي يقول بها :

"غداً يعود سيدي
شراعه كغيمةٍ بيضاء عند الشَّفقِ
أعرفه متى يلوح، كيف لا؟
خيوطُه أنا، أنا غزلتُها - أصابعي
حبكتها، غسلتها بأدمعي
فكيف لا أعرفه
متى يلوح في البعيد آتياً
كغيمة في الأفقُ؟
غداً يعود سيّدي.
جبينه العريق دجُه جبلٍ
وزرقة الخضّم. عمقه السحيق
في عيونه - يعود لي،
محملاً بالذهبِ
بفضّة تصاغ للهياكل.
الرُّخام هنا مجامراً
للبطل الإله مقبضاً لِسيفه.
مُحمَّلاً يعود سيدي
بالعاج صولجانَ مَلكٍ، سريره

(23) ديوان الحرية، قصيدة فراق : ٤٦ .

بالجوهر الغريب خاتماً له
فرائداً لتاجه.
مُحَّملاً يعود سيدي
بالشوق لي. والأملِ"[24]

نلاحظ هنا أن الشاعر يستعمل الاشارات النصية نفسها، التي تحيل على استدعاء شخصية السيد المسيح من مرجعها التراثي /اللاهوتي، واعادة تقديمها في نص شعري معاصر، إذ نجد عبارة (غداً يعود سيدي) وقد تكررت اكثر من مرة، الأمر الذي يعني مركزية في دلالتها، فهي تُشير بوضوح الى حضور السيد المسيح، وذلك من خلال وصف (سيدي) وكذلك فعل العودة أو المجيء الثاني المستقبلي (غداً يعود)، كذلك يذكر الشاعر مرة ثانية، آلية عودة السيد المسيح في هذا النص (شراعُه كغيمة بيضاء عند الشفق) و (كغيمة في الافقُ؟)، وقد اشرنا في النص السابق أن هذا التشبيه هو صورة نقلها الشاعر من نص العهد الجديد عندما تحدث عن المجيء الثاني للسيد المسيح، نلاحظ أيضاً أن النص ولاسيما في مقطعه الأول، يبعث على الرجاء والأمل في انتظار الخلاص الموعود، إذ يشعر القارئ بوجود احساس بالفرح والتفاؤل في (الغد / المستقبل) في مقابل وجود خيبة وأزمة في (الان / الحاضر) .

في المقطع الثاني من هذا النص، نرى الصوت الشعري يبدأ برسم ملامح خاصة جداً للسيد المنتظر، إذ يضفي عليه تصويراً خارجياً مركزاً على البعد المادي للشخصية، (جبينه العريق - وجه جبلِ - عيونه) فهذه أوصاف تُشير الى تشكيل مادي خاص، حاول الشاعر فيه إعطاء موصوفه ملامح خارقة وغير مألوفة وربما تكون اسطورية قاصداً بها إحداث نوع من التوازن مع الفعل الخارق الذي سيقوم به، كذلك نجد مبالغة في وصف هذه الملامح الاسطورية التي توحي بالعظمة والقوة والمجد والسلطان، فالشاعر يرسم السيد المسيح في صورة ملك جبار وهيبة اسطورية (محملاً بالذهب - بفضة تُصاغ للهياكل - البطل الإله - مقبضاً لسيفه - بالعاج صولجان ملكٍ - سريره بالجوهر الغريب - خاتماً له - فرائداً لتاجه)، فالذهب والجواهر والعاج والتاج والصولجان، كلها علامات واشارات ملوكية تدل على الهيبة والمجد والسلطة، وقد استوحى الشاعر هذه الصورة العظيمة من أوصاف اسطورية ارتبطت بالإله (تموز) الذي يشارك الرمز المقدس (المسيح) في رمزية الانبعاث والعودة من جديد، لذا نستطيع القول: إن السيد المسيح في هذه اللوحة الشعرية جعله الشاعر رمزاً خلاصياً انبعاثياً حالماً الى جانب رمزية الملك والسلطة والفعل الخارق للطبيعة .

يوظف يوسف الخال، شخصية السيد المسيح (له المجد)، في مسار رمزي آخر، يختلف عن المسار السابق الذي تساوى فيه مع الرمزية التراثية العامة لهذه الشخصية المقدسة والمثبتة في الكتب المرجعية الدينية الخاصة بها، إذ استعان الخال هذه المرة بإحدى قصائده الطويلة معتمداً أسلوب المناجاة في مخاطبة الاله أو الرب القدير، الذي يُشير بوضوح تام، وفقاً للعقيدة المسيحية، الى شخصية الرب يسوع المسيح، التي وظفها لبناء رمزية جديدة حملت معها خصوصية الرؤية الشعرية التي كشف الشاعر عنها في هذه القصيدة، فقد بُني هذا المتن الشعري وفق نظام تراتبي، مقطعي تكون من ثلاثة مقاطع طويلة، احتوت بداخلها على مقاطع قصيرة جمعتها وحدة دلالة معنمية، وقد اختار الشاعر مفردة (الحرية) عنواناً لقصيدته التي نقرأ في مطلعها:

"أنا حرٌّ يا رب، حرٌّ: لي العتمة
مسرى، وملعب الشمس مغنى"[25]

لقد تكررت هذه العبارة الشعرية مع بداية كل مقطع من مقاطع هذه القصيدة الطويلة والقصيرة معاً، لذلك يمكن اعتمادها بوصفها إشارةً دلاليةً تشكل موجهاً قرائياً للولوج الى عالم النص وللكشف عن الرمز المركب الديني الذي يحتويه، إذ نلاحظ أن أول حضور للصوت الشعري، جاء بصيغة ضمير الرفع المنفصل للمتكلم (أنا) ضمن العبارة الشعرية الافتتاحية في النص (انا حرٌّ يا رب)، فقد حمل هذا الاستعمال الشعري، قصدية الانفصال والاستقلال والارادة الحرة، فالشاعر يُصرُّ على حريته التي يبدو

---

[24] ديوان البئر المهجورة، قصيدة (العودة) : ٢٣٦ - ٢٣٧.
[25] ديوان الحرية، قصيدة الحرية : ٩٦ .

أنها سلبت منه ويريد استردادها، لأنها حق مكفول من الخالق، لأن الله سبحانه وتعالى خلق الانسان حرّاً، (كُن كما شئت سنّه الله في الكون)، لذلك نجد الشاعر يناجي ربَّه ويدعوه أن يمنحه هذا الامتياز الحقيقي، إذ يقول في هذا المقطع الآتي:

"يا إلهي شَدِّد جناحي! فما يكفيه
علمٌ، مهما تساميتُ علما
أنتَ أدرى به. فلو ينفع العلمُ
لما زادتِ الخليقة إثما
ولما جئت ههنا تفتدي العقلَ
وتروي أن المحبَّة أسمى
ربِّ هبني محبّة، فبها أدركَ
حريتي وأعرف نفسي."[26]

لقد استعمل الشاعر الجناحين بوصفهما استعارة شعرية موحية للثيمة المحورية في النص، فقد تضمنت هذه البنية الاستعارية، اشارة واضحة الى رغبته الكبيرة بالحرية والانطلاق والانعتاق، لقد عقد الشاعر مقارنة بين المحبة والعلم، فالعلم هنا _ حسب السياق الشعري_ هو رمز جزئي خاص لدى الشاعر يحيل على ارادة الانسان المحدودة، لأنه مهما أرتفع وسما الانسان لا يمكن أن ينال الحرية به ومن خلاله، لأن الحرية هي هبة الاهية مجانية ودليل على محبة الله للبشر التي تحققت عملياً من خلال فعل الفداء والتضحية التي قام بها السيد المسيح بوصفها تعبيراً عن حبّه اللامحدود لبني البشر، ورغبته في خلاصهم ونيل حريتهم (لما جئتَ تفتدي العقل - وتروي أن المحبة أسمى)، فالحرية هنا ربطها الشاعر بفعل المحبة (الفداء) المرتبط اصلاً بعمل الله تبارك وتعالى الخلاصي، لذا تحول السيد المسيح (له المجد) ضمن حدود هذا السياق الشعري الى رمز للحرية والانعتاق والتحرر من العبودية. وما يؤكد هذه الرمزية، ما جاء في المقطع الثاني من هذه القصيدة :

"إيه حريتي - إذا تم نصري
بفداءٍ من المحبة سمح
فتحررت من عبودية الشرّ
وفازت على الطبيعة روحي
فأنا ما أزال عبداً لنفسي،
ابتني من لذاذة الحسّ صرحي"[27]

إن الحرية المرموز لها بواسطة شخص السيد المسيح، هي ليست الحرية المادية الحسية المألوفة التي نعرفها ونمارسها ونرغب بها، لكنها الحرية الروحية الحقيقية التي تعني التحرر من عبودية الّشر، إذ تشير دلاليا وفق رمزيات الكتاب المقدس، الى عبودية الخطيئة والانتصار على الطبيعة القديمة الفاسدة كونها نتاج لفعل هذه الخطيئة، فالحرية تتمثل بفعل المحبة (الغفران) . إن المفهوم الذي يقدمه الخال للحرية هنا، اخذه من الفهم اللاهوتي لفعل الصلب والفداء ومن المبدأ المسيحي حول فكرة الخطيئة والغفران، فالجسد - حسب العقيدة المسيحية - هو مصدر الشهوات والخطايا التي تتحول الى عبودية وهزيمة للإنسان، في مقابل عمل الروح الذي يقود نحو الغفران والحرية والانتصار لذلك فالمسيح هنا أصبح رمزا متعدداً ومتحولاً من الحرية الى المغفرة والمحبة والانتصار.

لقد رأى الخال في شخصية السيد المسيح رمزية اخرى، إذ لم يكتفِ الشاعر بالرمز الخلاصي والفدائي النبيل لشخص السيد المسيح، بل نجده يذهب نحو ترميز الجانب الأليم و المأساوي في حياة السيد المسيح، وتحديداً في موقف الصلب على الخشبة وتحمل الجراحات والاهانات، إذ وجد الخال في هذا الموقف المأساوي الدامي، فسحة للمماثلة والمقابلة مع الواقع المأزوم والمأساوي للإنسان المعاصر في حياته اليومية، وبذلك يكون قد أضفى على الموقف الديني المسترجع للشخصية المقدسة، مدلولات انسانية

---

[26] ديوان الحرية، قصيدة الحرية : ٩٩-١٠٠ .
[27] المصدر نفسه: ١٠٨-١٠٩ .

ووجودية معاصرة تنسجم مع طبيعة الحالة الانسانية لواقع اليوم، هذا ما نلاحظه في قصيدة (الجذور) في واحد من مقاطعها، الذي نقرأ فيه:

"رجلاي في الفضاء والفضاء هاربُ
وليس لي جناحُ
الشمس لا تدفئني
ولا تغطي جسدي الرياحُ
ليت الذي علّقني هناك، شدَّ حول عُنقي
بل ليته سمّرني
بل ليته، حين كفرتُ بأخي، طردني
هنا هنا على التراب جبهتي.
في التراب قدمي،
وقدمي هياكلُ ومدنٌ
ودمعةٌ هي الفراتُ تارةَ
وهي البحار تارةً
وقدمي دمٌ وقبلةٌ
وقدمي صلاةٌ
ربّاه دعني ههنا
ربّاه دعني ههنا لديك، دعني
ههنا على التراب
رباه دعني ههنا
ربّاه دعني ههنا على التراب بيتَ رَحمٍ وكفناً ،
فالأرض وحدها البقاءُ"[28]

يحتوي هذا المقطع الشعري على عدد كبير من الاشارات النصية التي تُشير الى طبيعة الشخصية ذات المرجعية الدينية الموظفة هنا، وهي بالتأكيد شخصية السيد المسيح (له المجد)، إذ نجد أن الشاعر قد تقمص شخصية السيد المسيح، واندمج معه في تماهٍ كبير مشكلاً قناعاً تاريخياً شعرياً، ولاسيما ما يتعلق بالجانب المأساوي المعذب من سيرة الشخصية المقدسة المرجوع إليها، ليعكس بهذا التقمص والقناع، حالة الاغتراب والعزلة التي يعيشها الشاعر، إذ يشعر القارئ أنه امام انسان معذب ومتألم يعاني حالة مأساوية وشعور متصاعد بالاغتراب والانفصام عن واقعه وعن ذاته المجروحة، (رجلاي في الفضاء - الشمس لا تدفئني - لا تعطي جسدي الرياح - على التراب جبهي - قدمي هياكل ومدنٌ - في التراب قدمي) إن هذه التعبيرات الشعرية التي يقدمها الشاعر بواسطة ضمير المتكلم (الياء) تعطي اشارة واضحة عن حالة الازمة الكبيرة التي يعانيها الصوت الشعري الذي يظهر مخنوقاً ومتألماً، بحيث يصل الامر به الى طلب الموت والبحث عن النهاية، (ليت الذي علقني هناك شدّ حول عُنقي - ليته سمرني - ليته طردني - ربّاه دعني ههنا لديك، دعني ههنا على التراب)، نلاحظ أن الشاعر استعار الكثير من الافعال التي رافقت السيد المسيح وهو في مشهد الصلب الاليم، وربط بينها وبين معاناته الشخصية في الواقع الحاضر (علقني - سمرَّني - ربّاه دعني)، ومن ثَمَّ أصبح الشاعر معادلاً بمعاناته وازمته واغترابه، لأوجاع المسيح وجراحاته ومعاناته على الصليب ليتحول السيد المسيح هنا دلالياً الى رمزٍ للاغتراب والانفصال والعزلة .

يؤكد الخال مرة اخرى هذه الرمزية الاغترابية التي منحها الشاعر لرمزه الديني المحوري المركب، وهي رمزية مفارقة للأصل المرجعي المرتبط بشخصية السيد المسيح، وذلك في مقطع شعري اخر، لكن هذه المرة في قصيدة (الطريق) التي يقول فيها:

"وما لنا طريق

---

[28] ديوان البئر المهجورة، قصيدة الجذور : ٢١١-٢١٢ .

صدر الرصيفِ ضاق
وكلٌّ من عبرْ
يحصده الذبابْ
كأنما السكون غاب لحظةً
كأنما السكون."[29]

إن القارئ لهذا المقطع يجد نفسه أمام حالة من الانفصال والعزلة التامة، فليس ثمة أي أمل وكل شيء أصبح صامتاً وقاتماً، وليس من طريق للخلاص، كل هذه الاحاسيس والمشاعر والانفعالات يراها القارئ حاضرة في ذاكرة الصوت الشعري المخنوق الذي يعاني من تجربة حياتية مريرة وواقع أليم وأمل ضائع (ما لنا طريق - صدر الرصيف خاف - مَنْ عبر يحصده الذباب)، ولهذا كله فإن حالة الاغتراب والانفصال تبدو واضحة وصريحة هنا، وبعد هذا المقطع يعود الشاعر مرة ثانية الى تجربة السيد المسيح المؤلمة على الصليب، التي يرى الشاعر فيها انعكاساً لواقعه المأزوم وأيامه البائسة، فهو يعتقد أن الواقع الحالي الذي نعيشه اليوم، ليس سوى اعادة وتكرار للمأساة التي عاشها السيد المسيح وما عانه من عذاب وازمة واغتراب في مجتمعه ومع الناس آنذاك، ولهذا نجد الشاعر يقول :

"الخادم العتيق جاءْ
ولم يجد أحدْ
الخادم العتيق لن يعود
جثته هناك والغراب في جوارها
والسيد العتيق عاد
وما رآه رأى أحدْ
شراعه مزقه الهبوبْ
وحين غاب اقفرت شواطئُ
وناح نائحٌ، و زمجرت رياح:
الويل لي! الويل لي!"[30]

لقد لجأ الشاعر الى توظيف وصفين مهمين من أوصاف السيد المسيح وهما (الخادم - السيد)، كما وظف أيضاً فعل العودة أو المجيء الثاني بوصفه فعلاً ماضياً وليس مستقبلاً على افتراض أن (السيد / الخادم / المسيح) قد عاد لكن عودته لم تحقق شيئاً ولم تزيل الأزمة وترفعها (الخادم العتيق جاء - ولم يجد احد - الخادم العتيق لن يعود - السيد العتيق عاد - وما رآه او رأى أحد)، إن عدم وجود أحد أو رؤية أحد، دليل واضح على عدم فاعلية العودة وافراغها من محتواها وبقاء حالة الانفصال عن الواقع والمجتمع، ومن ثم استمرار الوضع المأساوي والاغترابي للصوت الشعري الذي تحول في المقطع الثاني الى راوٍ يسرد قصة عودة الخادم السيد، ولهذا كله فإن السيد المسيح أصبح هنا أيضاً رمزاً للاغتراب الانفصال والعزلة .

المسار الثاني :السيد المسيح (له المجد) بوصفه مرموزاً له:

لم يكتفِ الخال في نصوصه الشعرية، بجعل السيد المسيح رمزاً لمدلولات عديدة متنوعة - كما راينا في الصفات السابقة - بل تعامل مع هذه الشخصية المرجعية المقدسة من وجهة نظر مقابلة أو مواجهة للتعامل الاول، والمقصود هنا أن الشاعر قد استخدم اشارات او صور حية وغير حية مختلفة وجعلها هذه المرة، ترمز للسيد المسيح نفسه، لذا بمكن القول: إن شخصية المسيح اصبحت تحمل ترميزاً مزدوجاً، فهي في الوقت نفسه تجلّت رمزاً من ناحية ومرموزاً له من ناحية ثانية .

لقد استعمل الخال هذه الطريقة الرمزية التي عكست الترميز، فأضحت شخصية السيد المسيح مرموزاً له بدلاً من كونها رمزاً وذلك في واحدة من أشهر قصائده، وهي قصيدة (البئر المهجورة)، هذه القصيدة التي تحكي قصة البطل (ابراهيم) ومعاناته وآماله وطموحاته وتضحياته واحلامه بالخلاص

---

[29] ديوان قصائد في الاربعين، قصيدة الطريق : ٢٩٩ .
[30] المصدر نفسه: ٢٩٩-٣٠٠ .

والعدالة والسلام والمحبة والامان، ذلك الفتى الذي قدم نفسه فداءً وتضحيةً عن الآخرين وعن مجتمعه الذي طالما حلم به مستقراً ثابتاً قوياً .

تمتاز هذه القصيدة (البئر المهجورة)، بامتياز تقاني كبير في صياغتها وبنائها، فقد امتزج فيها الشعر بالسرد، وتداخل الزمن الماضي بالحاضر في صورة جميلة، فضلاً عن مفرداتها اللغوية ذات الانزياح الشعري العالي والمجاز المتقن، كذلك استخدم الشاعر في بناء هذه القصيدة اسلوباً شعرياً مختلفاً، فقد انهى القصيدة بالموقف نفسه الذي بدأ به، أي أنه انهى متنه الشعري بالمقطع الاستهلالي السردي نفسه الذي بدأ به على لسان الراوي محققاً بذلك بناءً دائرياً محكماً .

لقد استخدم الخال في هذا النص الشعري طريقة الراوي العليم الذي يعرف ويعلم كل شيء عن بطله (إبراهيم) ذلك الانسان البسيط المعاصر الذي يُشير اسمه الى تناص تراثي ديني، ارتبط بشخصية النبي إبراهيم (عليه السلام) وقصة التضحية بولده اسحاق/ اسماعيل، وكذلك الصفة التي أعطاها الشاعر لهذه الشخصية / الفاعل (البئر)، إذ تشير هي الاخرى الى قصة النبي يوسف (عليه السلام) واخوته الذين ألقوه في البئر، ففي المقطع الاول يسرد لنا الراوي العليم قصة جاره (ابراهيم) بواسطة ضمير الغائب بقوله:

"عرفتُ إبراهيم، جاري العزيز .... من زمانٍ
عرفته بئراً يفيض ماؤها
وسائرُ البشرْ
تمرُّ لا تشرب منها، لا ولا
ترمي بها، ترمي بها حجرْ"[31]

إن هذا المقطع الشعري على الرغم من قصره، الا أنه يحتوي على دلالات رمزية كبيرة، فشخصية (ابراهيم) الموجودة في النص، تمثل شخصاً عادياً وانساناً معاصراً بدليل أنه (جار) الراوي، لكن وصفه بالبئر التي يفيض ماؤها، يمنح هذه الشخصية حمولة رمزية دينية معروفة تشير - كما قلنا - الى شخصية النبي ابراهيم (عليه السلام) فهو ممتلئ حكمة وموعظة وتعاليم سامية، لكن المفارقة هنا أن المجتمع والناس لا تلتزم بهذه التعاليم ولا تأخذ بها ولا تنهل من ماء هذه البئر التي تفيض علماً وحكمة وسلاماً وتقوى....الخ، فالناس تمر بالبئر ولا تشرب منها ولا حتى ترمها بحجر، وبالعودة الى مرجعية النص الدينية، فإن قصة نبي الله (ابراهيم) وقصة تضحيته بولده اسحاق/ اسماعيل، هي في الاصل إشارة أو رمز ورد في العهد القديم، يشير الى تضحية السيد المسيح (له المجد) وموته على الصليب، فالكبش الذي فدى الله سبحانه وتعالى به اسحاق/ اسماعيل، هو رمز للدم الذي سيسفك على الصليب ومن ثم فإن ابراهيم هنا يمثل رمزاً منقولاً أو محولاً للسيد المسيح، وكذلك فإن وجود قرينة (بئراً يفيض ماؤها) تعطي دلالة واضحة على فيض العطاء والتضحية والمحبة والسلام التي امتلكها المسيح عندما قدم نفسه فداءً عن البشر وعن مجتمعه، لكن المجتمع في يومنا هذا مثل السابق، لا يثمن ويقدر هذه التضحية العظيمة بدليل بقاء الجريمة والخطيئة والفساد والاثم في هذا العالم على الرغم من تحقيق فعل التضحية والفداء، ولهذا قال الشاعر: (وسائر البشر - تمر ولا تشرب منها ولا ترمي بها حجر) كل هذه الاشارات النصية تدعم رمزية الشخصية المتخيلة في النص وتنقلها من زمنها المعاصر في النص الى زمنها الماضي المرجعي في محاولة للأسقاط الزمني بين الزمنين، فإبراهيم في النص الشعري يرمز الى ابراهيم في النص التاريخي والديني والذي بدوره يرمز الى السيد المسيح، ومن ثم أصبح ابراهيم الحاضر آنياً في النص الشعري، رمزاً للسيد المسيح الحاضر تاريخياً في الكتاب المقدس بوصفه رمزاً محولاً ومنقولاً .

يستكمل يوسف الخال بناء رمزية شخصية (ابراهيم) داخل النص الشعري، إذ نجد في المقطع الثاني أن (ابراهيم) يتكلم بعبارة تتكرر أربع مرات في قصدية تشكيلية ومع بداية المقاطع التي تلي المقطع الاول، وهي (لو كان لي أن انشر الجبين في سارية الضياء من جديد - لو كان لي أن اموت أن اعيش من جديد - لو كان في أن انشر الجبين في سارية الضياء - لو كان لي البقاءُ)، تحمل هذه العبارة التي ينطق بها (ابراهيم) داخل النص الشعري، أهمية في تشخيص وكشف دلالته، إذ تعمل على تدعيم

(31) ديوان البئر المهجورة، قصيدة البئر المهجورة : ٢٠٣ .

الرمزية العامة لهذه الشخصية، فقوله: (لو كان لي) تدل على تلك الرغبة القوية التي تتملك (ابراهيم) لأحداث التغيير المطلوب ولتغيير الواقع الأليم نحو واقع أفضل، إذ يرجو (ابراهيم) أن يتحول الظلام الى ضياء والشر الى خير والقحط الى عطاء، كما يرجو أن تبرعم الغصون في الخريف ويطلع النبات في الحجر وأن تسكت الضوضاء في الحقول وأن يأكل الفقير بعرق جبينه، لا بدمعه الذليل....الخ، كل هذه الامنيات الواقعية المرتبطة بحياة الناس والعامة، تشير الى استعداد (ابراهيم) للتضحية وبذل النفس في سبيل المبدأ والهدف النبيل وتحقيق العدل والمساواة وانقاذ الناس، بمعنى أنه يساوي دلالياً ورمزياً تلك الرغبة القوية التي دفعت السيد المسيح للتضحية بنفسه وبذل دمه فداءً عن الآخرين، حيث نقرأ النص الآتي:

"لو كان لي،
لو كان أن أموت أن أعيش من جديدٍ.
أتبسطُ السماءُ وجهها، فلا
تمزّق العقبانُ في الفلاةِ
قوافلُ الضحايا؟
أتضحك المعاملُ الدخانُ؟
أتسكتُ الضوضاء في الحقولِ .
في الشارع الكبيرِ؟
أيأكل الفقيرُ خبز يومه ،
بعرق الجبينِ، لا بدمعة ذليلِ"[32]

إن النص يشير بوضوح الى أن شخصية (إبراهيم) داخل النص الشعري ليست ذاتاً فردية أو انساناً معزولا عن المجتمع، بل هو رمز جماعي وهو الصوت الذي يمثل الماعة الاجتماعية وينوب عنها، ويرغب في التغيير والثورة والاصلاح والعمل الصادق الحقيقي، ونظراً لمساواته الرمزية مع السيد المسيح، فقد جعل الخال من المسيح المرموز له هنا عبر شخصية (ابراهيم)، رمزاً ضمنياً للتغيير والرفض والتمرد والثورة على الظلم والفساد والطغيان، فالمسيح وفقاً لهذا التأويل، يعد رمزاً ثورياً ضد الطغيان والفساد والحياة المادية .

يستأنف الخال بناء رمزية شخصية السيد المسيح (له المجد) في المقطع الثالث من هذه القصيدة وذلك عندما يعود الراوي العليم الى اكمال حكاية (ابراهيم)، إذ يصوره شعرياً هذه المرة في مشهد معركة متخيلة يخوض فيها حرباً ضد الاعداء، كما يقّدمه بطلاً شجاعاً سائراً الى الامام دون تراجع في مقابل (تقهقر) مَنْ معه من الجنود والرجال، وفي النهاية ينال الشهادة ويبذل دمه في سبيل مَنْ احبهم على الرغم من خذلهم له (تقهقروا – تقهقروا)، حيث نقرأ النص الآتي :

"في الملجأ الوراء مأمنٌ
من الرصاص والردى! ،
لكن ابراهيم ظل سائراً
الى الامام سائراً
وصدرُه الصغير يملأُ المدى!"[33]

إن تجربة شخصية (ابراهيم) المتخيلة للتضحية داخل النص الشعري، تعادل دلالياً تجربة شخصية السيد المسيح المرجعية في التضحية على خشبة الصليب وسفك الدم دفاعاً وفداء عن الاخرين والمجتمع، وعلى الرغم من عدم تقدير الاخرين لهذه التضحية ولهذا الفعل النبيل، الا أن ابراهيم / المسيح لم يتقهقر أو يتراجع بل بالعكس تقدم وبذل النفس والدم، لقد اقدم على الموت لتكون الحياة من نصيب المجتمع والاخرين الذين تخلوا وجحدوا ولم يشربوا من ماء البئر(إبراهيم/المسيح)؛ لذلك أصبحت (البئر

[32] ديوان البئر المهجورة، قصيدة البئر المهجورة : ٢٠4 .
[33] المصدر نفسه : ٢٠5 .

مهجورة)، على الرغم من كل هذا الفيض والعطاء والمحبة التي فيها، رمزاً للسيد المسيح (المهجور) الذي تركه أصحابه وتنكروا له ولمبادئه في السلام والمحبة والتسامح

الخاتمة

توصل البحث، بعد مقاربته لشخصية السيد المسيح(له المجد) بوصفها رمزًا مركّبًا- إلى عدد من النتائج يمكن تلخيصها فيما يأتي:

1. كشف تقصّي مفهوم الرمز المركب عبر تصورات النقاد والآراء التي قيلت فيه، عن نتيجة مفادها: إن طبيعة تشكيل هذا النوع الرمزي تتأتى في ضوء هضمه وصهره لأكثر من مستوى رمزي داخل بنية رمزية واحدة، فالرمز المركب هو مزيج متجانس من مجموعة سمات متعلقة بالرموز العامة والكلية من جهة، وبالرموز التاريخية والدينية من جهة ثانية، فضلاً عن طواعيته للتكثيف والتأويل.
2. مثّلت شخصية السيد المسيح رمزًا محوريًّا مهيمنًا في شعر يوسف الخال، فقد حرص على توظيفها وتقديمها في أنساق رمزية متنوعة عكست معها، اسلوبين رمزيين في التعامل والمعالجة، اعتمد الأسلوب الأول على مبدأ المطابقة والمشابهة بين رمزية الشخصية داخل النص الشعري وبين رمزيتها المرجعية التاريخية. أمّا الأسلوب الثاني فقد لجأ إلى طريقة المفارقة والمخالفة للشخصية الرمزية في بعديها الفني والمرجعي.
3. وقف وراء اختيار يوسف الخال لشخصية السيد المسيح واعتمادها رمزًا محوريًّا في شعره، أسباب عديدة منها: امكانيتها الرمزية الهائلة وكذلك مكانتها الدينية الرفيعة وقدسيتها التاريخية، وكذلك ايمان الشاعر العقائدي بها، فضلاً عن كونها واحدة من أهم رموز(الانبعاث) التي لجأ إليها عدد كبير من الشعراء التموزيين.
4. وجد الخال في شخصية السيد المسيح مساحة رمزية كبيرة، فقد جعل منها رمزًا مركّبًا للعديد من القيم والمعاني الإيجابية، ولاسيّما معاني المحبة والفداء والخلاص والتضحية والغفران والأمل والرجاء والفرح والتجدد والنهوض والانبعاث والحياة، كما وظفها رمزيًّا للإشارة إلى مدلولات مجاورة أخرى مثل الحرية والاغتراب والرفض والثورة.
5. لقد استثمر الخال عددًا من السياقات الواقعية والتاريخية، جاعلاً منها وسائل فنية لإنتاج رمزية متعلقة بالسيد المسيح(له المجد) بوصفه مرموزًا له، ومنها قصة النبي إبراهيم(عليه السلام)، إذ جعله الخال رمزًا للسيد المسيح وكذلك جعل من(الكبش) و(البئر المهجورة) رمزين منقولين لهذه الشخصية المقدسة.

المصادر والمراجع

أولاً/ المراجع:

- الكتاب المقدس.

1. الأعمال الشعرية الكاملة، يوسف الخال، دار العودة للصحافة والطباعة والنشر، بيروت، 1979.
2. التصوير الشعري-رؤية نقدية لبلاغتنا العربية-، عدنان حسين قاسم، الدار العربية للنشر والتوزيع، د.ط، القاهرة، 2000.
3. الرمز في الشعر العربي، ناصر لوحيشي، عالم الكتب الحديث، ط1، اربد(الأردن)، 2011.
4. الرمز والدلالة في شعر المغرب العربي المعاصر(فترة الاستقلال)، عثمان حشلاف ، منشورات التبيين الجاحظية، الجزائر، 2000.
5. الشعر والدين - فاعلية الرمز الديني المقدس في الشعر العربي، كامل فرحان صالح، دار الحداثة للطباعة والنشر، بيروت، 2004 .
6. الغموض في الشعر العربي، ابراهيم رماني، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، د.ط. الجزائر، 2008.
7. قصائد مختارة ليوسف الخال، ادونيس(علي أحمد سعيد)، دار مجلة شعر، بيروت، 1965.
8. موسوعة المصطلح النقدي-الترميز-، ماكوين جون، تر: عبدالواحد لؤلؤة، دار المأمون للترجمة والنشر، ط1، بغداد، 1990 .

ثانيًا/ المجلات والدوريات:

1. أسطورة المسيح في انشودة (حب وجلجلة) لخليل حاوي، مصطفى بو بعير، مجلة البحوث والدراسات الانسانية، جامعة سكيكدة ، ع15، الجزائر، 2017 .
2. الأنساق الدلالية والايقاعية في ديوان (البئر المهجورة) للشاعر يوسف الخال، عبد القادر الخزالي، مجلة (نزوى)، ع11، الاردن،1997.
3. تطور أنماط الشعر العربي، علي فتح الله أحمد محمد، مجلة الدراسات العربية، ع14، جامعة المنيا- مصر.
4. الرمز الأسطوري في الشعر الجزائري المعاصر، أحمد قيطون، مجلة مركز البصيرة، ع4، الجزائر، 2009 .
5. من الاسلامي الى المسيحي- اضاءة على الدلالة الدينية وتحولاتها في الشعر الفلسطيني الحديث، سرجون كرم ، مجلة (حوليات)/ منشورات جامعة البلمند ، ع17،، بيروت، 2016 .

ثالثًا/ الرسائل والأطاريح الجامعية:

1. الرموز الجاهلية في القصيدة المعاصرة(نماذج مختارة)، آمال بديرينة، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خضير بسكرة، الجزائر، 2017.

رابعًا/ شبكة الأنترنيت:

1. العالم الشعري لدى يوسف الخال، رياض الناصري، صحيفة المثقف . https://www.almothaqaf.com/readings-5/949376

Sources and References

First/ References :

- The Holy Bible .

1. The Complete Poetic Works, Youssef Al-Khal, Dar Al-Awda for Press, Printing, and Publishing, Beirut, 1979 .
2. Poetic Imagery - A Critical View of Our Arabic Rhetoric, Adnan Hussein Qasim, Arab Publishing and Distribution House, Cairo, 2000 .
3. Symbolism in Arabic Poetry, Nasser Louhichi, Modern Books World, 1st Edition, Irbid (Jordan), 2011 .
4. Symbolism and Significance in Contemporary Maghreb Poetry (Post-Independence Period), Othman Hashlaf, Al-Tibyin Al-Jahiziyah Publications, Algeria, 2000 .
5. Poetry and Religion - The Effectiveness of the Sacred Religious Symbol in Arabic Poetry, Kamel Farhan Saleh, Dar Al-Hadatha for Printing and Publishing, Beirut, 2004 .
6. Ambiguity in Arabic Poetry, Ibrahim Rumani, National Institute for Printing Arts, 1st Edition, Algeria, 2008 .
7. Selected Poems of Youssef Al-Khal, Adonis (Ali Ahmad Said), Dar Majallat Shi'r, Beirut, 1965 .
8. Encyclopedia of Critical Terminology - Symbolism -, McQuinn John, Translated by Abdulwahid Lu'lu'a, Dar Al-Ma'moun for Translation and Publishing, 1st Edition, Baghdad, 1990.

Second/ Journals and Periodicals:

1. The Myth of Christ in the Ode (Love and Golgotha) by Khalil Hawi, Mustafa Bou Baer, Journal of Human Research and Studies, Skikda University, Issue 15, Algeria, 2017.
2. Semantic and Rhythmic Systems in the Diwan (The Abandoned Well) by the poet Youssef Al-Khal, Abdelkader Al-Khazali, (Nizwa) Journal, Issue 11, Jordan, 1997.
3. The Development of Arabic Poetry Styles, Ali Fathallah Ahmed Mohamed, Journal of Arabic Studies, Issue 14, Minya University - Egypt.
4. The Mythical Symbol in Contemporary Algerian Poetry, Ahmed Qaytoun, Al-Basira Center Journal, Issue 4, Algeria, 2009.
5. From Islamic to Christian - A Spotlight on Religious Significance and Its Transformations in Modern Palestinian Poetry, Sargon Karam, (Annals) Journal / Publications of the University of Balamand, Issue 17, Beirut, 2016.

Third/ Theses and Dissertations:

1. Pre-Islamic Symbols in Contemporary Poetry (Selected Models), Amal Badirina, Master's Thesis, Faculty of Arts and Languages, Mohamed Khider University of Biskra, Algeria, 2017.

Fourth/ Internet Network:

1. The Poetic World of Youssef Al-Khal, Riyad Al-Nasiri, Al-Mothaqaf Newspaper https://www.almothaqaf.com/readings-5/949376